

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا
د.صبا قيس الياسري
الفصل الخامس

القاشاني : فن البلاطات و اللوحات الخزفية

تمهيد :

بدايةً لنقف أمام سؤال ما المقصود بكلمة القاشاني بكل تسمياته مع أننا قد أوضحنا سلفاً هو البلاطات و اللوحات الخزفية ، ولكن ربما يتسأل احد عن تسميات أخرى تنتمي لهذا الفن في العالم الإسلامي ، كمصطلحات تدل على نفس المعنى و المفهوم لهذا النوع من الفنون التطبيقية ، والذي هو نوع من الخزف المطلي على شكل بلاطات مربعة و مستطيلة و سداسية أو نجمية ، وهذه البلاطات بعضها خالية من الزخرفة والأخر مزخرف بلون واحد فقط كالأزرق أو الأخضر أو الأسود ..إلخ، والبعض الأخر زخارفه متعددة الألوان ، وتنفذ بطريقة الرسم فوق أو تحت الطلاء ، وهناك أنواع أضيف إليها التذهيب أو طلاء المينا أو البريق المعدني ، ويرى بعض الباحثات ان الإسلوب المينائي أي الخزف المينائي و الذي هو عجينة تغطى بطلاء قصديري ، وينسب إلى مدينة الري وكذلك البريق المعدني انتقلا إلى تركيا على أيدي السلاجقة ذوي الأصول الإيرانية ، وهذا يوضح أهمية الدور الذي لعبته إيران في هذا

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

المجال^١. حتى إن البلاطات والفسيفساء الخزفية العثمانية اقل بريقا من تلك السلجوقية. ويرجع ذلك للعجينة الطينية المستخدمة في الفخار، فكلما اقترب اللون من الأحمر* أصبحت الخزفية أقل بريقا.^٢ و المخطط رقم (٢) و المخطط رقم (٣) في ملاحق الكتاب تبين أنواع الطينات المستخدمة في الخزف .

وبلاطات القاشاني نوعان ، فبعضها ذات زخارف مسطحة وأخرى ذات زخارف بارزة، ويراعي الفنان في الحالتين حرق وتسوية البلاطات دفعة واحدة لضمان درجة لونية واحدة .^٣

الخزف ماهيته ونشأته

إن الخزف الذي يعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد قد أحدث بدخوله زخرفة المباني السلجوقية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ثورة في جماليات العمارة الإسلامية^٤ ، و البلاطات الخزفية البديعة التي سرعان ما كست المساجد وسائر العمارة الدينية في وسط آسيا وفارس وأجزاء من شبه القارة الهندية انتشرت في الشام وتركيا، كما نشأ تقليد

^١ - أوقطاي أصلان أوبا : فنون الترك وعما نهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ط١ ، استانبول ، ١٩٨٧ ، ص ٢٥٨
* - الطينة لونها يختلف حسب المواد الداخلة فيها وكذلك الشوائب ، فالحمراء تحتوي على نسبة من الحديد مما يجعل لمعانها بعد الحرق قليل أما البيضاء فتحتوي نسب من السليكا (الكوارتز) التي تصبح بعد الحرق زجاجية المظهر من حيث اللعان والبريق
^٢ - ربيع حامد خليفة: الفنون الإسلامية في العصر العثماني، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٧
^٣ - محمود إبراهيم حسين : الخزف الإسلامي في مصر ، جامعة القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٤ ، ص ٦٥
^٤ - هذه المعلومة تؤكد أنها اغلب المصادر المعنية بهذا المجال ومن أهمها الفنون الإيرانية: زكي محمد حسن ، الخزف الإسلامي في مصر : محمود إبراهيم حسين ، فنون الترك وعما نهم : أوقطاي أصلان أوبا، دومنيك كليفتو: الحلي المعمارية والزخرفة في العمارة الإسلامية .

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

ليس من الممكن تأكيده بالأدلة الأثرية من حيث ارتباطه بهذا التقليد وهو الزليج في المغرب العربي والأندلس.^٥

بينما قدر علماء الانثروبولوجيا بأنه مر على صناعة الخزف ما يقارب ١٥٠٠ سنة. ويعتبر فن الفخار والخزف من أرقى الفنون التي عرفتها الإنسانية ولازمت صناعته الحضارات المختلفة منذ أقدم العصور ، ولذلك يهتم منقبون الآثار والباحثون عن حياة الشعوب بالفخار؛ إذ إنه حرفة وصناعة مارسها الإنسان منذ قديم الزمان في بقاع الأرض التي عاش فيها الإنسان ، ومن هنا نتبين أن تاريخ الفخار حافل بما يستوجب دراسات واسعة النطاق ، فالفخار خلال تلك الرحلة الطويلة سجل طبائع وتقاليد البشر المتباينة ومعتقداتهم في الحياة .

إذا فالخزف من أكثر الحرف التقليدية ممارسة في جميع المجتمعات القديمة والمتقدمة، وقد جاء استجابة لحاجات معينة من خلالها اكتسبت الآنية الخزفية شكلها، والمنتبع لهذا الفن لا يرى بداية حقيقية له لأنه ارتبط بوجود الإنسان في كل بقاع العالم.

أما إذا انتقلنا إلى تقنية الخزف فإننا سنجده يعني في مفهومه اللغوي ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارا، وهذا يسمى الحرق الأول (البسكويت) وإذا طلي بمادة

^٥ - المساجد واحات لجماليات المكان : كامل يوسف حسين - الحلقة (١٥) - الزليج و القاشاني و الاضني حيرة لا تعرف الانتهاء، الفسيفساء .. ثورة في جماليات العمارة الإسلامية ، نقلا عن دومنيك كليفتو في كتابها «الحلي المعمارية والزخرفة في العمارة الإسلامية»، جريدة البيان ، مجلة الكترونية ، الأربعاء ١٥ رمضان ١٤٢٣ هـ الموافق 20 نوفمبر ٢٠٠٢ .

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د. صبا قيس الياسري

الترجيح فيحرق مرة ثانية وعندئذ تسمى هذه العملية الحرق الثاني (التسوية)^٦، وما يصنع من طينة تشكل وتحرق في أفران خاصة بدرجة حرارة معينة لاكتساب طبقة من الطلاء، ومنه الخزف العثماني والصيني، ... إلخ. ومن الخزف تصنع العديد من المواد كالأواني الخزفية والفسيفساء الخزفية كما وهناك من طينات خاصة تصنع الأدوات الصحية والحافظات الكيماوية والذي يخصنا هو مجال البلاطات التي تطلّى بمواد مزججة تشتمل على أكاسيد معدنية ملونة أكسبت أنواعه المختلفة ألوانا لامعة براقة اختلفت باختلاف أنواعها ومراكز صناعاتها وطرق زخرفتها وعناصرها. وسنرى في المخطط رقم (١) تحديد المنتجات الخزفية.

إذاً الفخار هو الطين المحروق وبدون طلاء أو ملون يدوياً بدهانات لماعة دون الدخول إلى الفرن وطينته قليلة النقاء وجدرانه سميكة وهو هش لكثرة مساماته . أما الخزف فطينته أكثر نقاءً وصلابة من الفخار ويطلى عادة بمادة زجاجية.^٧

والجدير بالإشارة أن الفخار والخزف من أهم الحرف الفنية التي مارسها الفنان المسلم منذ أن توطدت أركان الإسلام في البلاد المختلفة؛ حيث إنه من خلال هذا الفن أنعكست الرؤية الفنية والجمالية للدين الاسلامي ، فأصبح فكر وموقف في الحضارة الإسلامية في جوانب متعددة؛ حيث إن روح الإسلام السمحة لا تتماشى واستخدام خامات غالية الثمن مثل

^٦ - هنري هودجز : الخزفيات ، ترجمة : محمد يوسف بكر ، مكتبة الثقافة العلمية الميسرة ، معهد الإنماء العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨١ ، ص ٤

^٧ - حسن الباشا: موسوعة العمارة و الآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثاني، الدار العربية للكتاب ، ط ١ ، القاهرة - بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ١٤٤

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

الذهب والفضة، ولذلك أقبل الفنانون المسلمون والعرب منهم خاصة على فن الخزف إقبالاً كبيراً، واستطاعوا أن ينتجوا خزفاً على مستوى عالٍ من حيث القيمة الفنية، ولم يكتفوا بذلك بل وصلوا إلى أن يكون إنتاجهم الخزفي يصلح من حيث الفخامة والجمال لأن يكون بديلاً لأواني الذهب والفضة باستعمالهم تقنية تسمى بالبريق المعدني التي تعتبر صفة انفرد بها الخزف الإسلامي.

وقد اتخذ الخزف مسميات متعددة ارتبط بعضها بموطن صناعته كالصيني و الفرفوري نسبة إلى اليابان التي كانت تعرف ببلاد الفرفوري و القاشاني نسبة إلى قاشان في إيران و الأضني نسبة إلى أضنة في تركيا. كما ارتبط بعضها بطرق نقشه وزخرفته، مثل الخزف الجبري ، وهناك الخزف ذو البريق المعدني الذي كان يطلّى بدهانات مذهبة تشبه بريق الذهب، والخزف المرسوم تحت الدهانات أو فوقه والخزف المحزوز، وغير ذلك من مسميات.

الخزف الإسلامي و القاشاني :أساليب وجماليات

قبل الخوض في هذا المحور ، يتبادر إلى الذهن حقيقة ان الفن الاسلامي هو فن متطور استمد أصوله من الحضارات السابقة وموروث الأقاليم عند الفتح الاسلامي ،ولكنه أغناها إلى أن أصبحت هذه الفنون منارة وفن عالمي.

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

أما أقدم البلاطات الإسلامية ، فهي التي عثر عليها في الحفائر التي أجريت بمدينة سامراء ٢٢١- ٢٧٦ هـ ، أي في العصر العباسي ، وأنها كانت تستخدم في كسوة جدران المباني . كما وجد ان ما يكسو محراب جامع عقبة بن نافع بالقيروان من قاشاني يشابه لحد كبير مما عثر عليه في سامراء ، أي من أصل عراقي ، ومن خلال معرفة العلاقات بين العراق وسلاجقة إيران ، ومن متابعة المخططات التي حوتها موسوعة حسن باشا يتضح أن فن البلاطات الخزفية ازدهر في الفنون التركية والفنون الإيرانية ، ومن معرفة اصل ومؤثرات الفنون الإيرانية والسلجوقية ومن قبل الساسانية على الفنون التركية يتبين لنا أصل بلاطات القاشاني ، التي ازدهرت وتطورت وأصبحت فن قائم بحد ذاته على أيدي الفنانين والمهرة المسلمين ، لتصل إلى أبهى صورها في الخزف التركي ، الذي لطالما كانت له المكانة المرموقة في الخزف الإسلامي ، لدقة صناعته و ألوانه الجميلة ، وبالتأكيد ذلك لم يأت من العدم بل من عدة عوامل أثرت فيه من أهمها العامل الجغرافي ونوعية طينة البلاد مما يسمح بإنتاج أفخر أنواع الخزف ، كما والعامل الاقتصادي ، اعتمادا على ترف البلاد كون تركيا كانت عاصمة العالم الإسلامي ، إضافة إلى الاستقرار السياسي الذي لازم البلاد واقصد الدولة العثمانية التي كانت متحكمة آنذاك بزمام الأمور ، إذاً كل ذلك أدى في النهاية إلى نمو وازدهار الخزف ، فأخذت المصانع تنمو وتصبح عالمية ، وأخص بالذكر مصانع مدينة أرنيك

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

التركية ، والذي أصبح يطلق على خزفها خزف أزنك ، والذي أهم ما يميزه روعة التصاميم

الزخرفية واللون الأحمر الطماطي، وذلك خلال الفترة الزمنية المحددة من نهاية القرن الخامس

عشر الميلادي ولغاية إطلالة القرن الثامن عشر الميلادي ، الذي بحلوله تقريبا أقفلت أزنك

مصانعها وفتحت بدلا عنها لتلبي احتياجات السوق مصانع كوتاهيه و تكفور سراي و جناق

قلعة ،لتلبي حاجات السوق ومن هنا بدأ ظهور اللون الأصفر من جديد ،بعد اختفائه من

مرحلة خزف أزنك، كما والألوان بدت منطفئة في المراحل الأخيرة من الخزف التركي،وظهر

اللون البنفسجي والأخضر الزيتوني وبهت اللون الأحمر حتى صار بنيا ، وخطوط التحديد

سوداء مخضرة ،أما الأرضية أصبحت مائلة إلى الزرقة مع ظلال خفيفة من التعرج والتغضن،

أما العناصر الزخرفية فتتوعت من بلورات نجمية والزهرة البيضاء كما ورسوم القصر والمسجد

والسفن الشراعية^٨ ،والتي نرى صدى بعضها في بلاطات جامعي الباشا وقورجي.

أعظم منتجات الخزف التركي في العصر العثماني كانت البلاطات الخزفية القاشاني

وقسمت من حيث أسلوب صناعتها إلى ثلاثة أقسام ،أولها بلاطات الفسيفساء ،وهي تتكون

من طينة بيضاء ومطلية ببطانات ملونة ، وتغطي هذه البطانات بطلاء زجاجي شفاف، أما

تصميم هذه البلاطات فيكون على شكل قطع صغيرة ، بحيث تكون ضمن مجاميع منها

^٨ - هذه المعلومة يؤكدتها معظم الباحثين أمثال زكي محمد حسن وحسن باشا وربيع حامد وسعاد ماهر و اوقطاي اصلان آبا وجون كيرسويل... الخ

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

الوحدات و التصاميم الزخرفية ، النباتية منها أو الهندسية أو المشاهد التصويرية.و استمرت

صناعة هذا النوع من البلاطات حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي .أما النوع الثاني فهو

بلاطات القاشاني المربعة، وقد ظهرت نتيجة لما تحتاجه البلاطات الفسيفسائية من جهد ووقت

وأيدي عاملة ، على عكس البلاطات المربعة بالمقارنة وفرت الوقت والجهد ، كما أن

التصاميم الزخرفية بدت تظهر أكثر دقة واتقاناً. أما النوع الأخير فهو بلاطات القاشاني البارز

،وهو الذي يستخدم في تكسية العناصر المعمارية غير المسطحة كحنيات المحاريب وبطون

العقود و المقرنصات والقباب ..إلخ^٩

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الفنون الإسلامية وتحديداً فن الخزف ، قد تطور في

مختلف الأقاليم الإسلامية في إطار ما هو معروف من وحدة الحضارة العربية في مختلف

الأقاليم، بحيث يبدو الإنتاج في البلاد العربية كافة له مسحة الحضارة العربية مع اختلافات

بسيطة بالنسبة لكل إقليم أو للبلاد التي أنتجته ، كما وقد شمل إنتاج الخزف جوانب متعددة

أمام احتياجات الناس اليومية، سواء أكانت هذه الاحتياجات عامة أو خاصة، فقد صنع الفنان

المسلم بلاطات الخزف على أشكال مختلفة لكسوة الجدران، وكذلك بعض المحاريب ،كما

تعددت أنواع الخزف الإسلامي في أشكاله وطريقة معالجته، وأساليب البرامج الزخرفية ،التي

^٩ - انظر سعاد ماهر : الخزف التركي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، مصر ، ١٩٧٧ ، ص ص ٦٢ - ٦٤ و - محمود إبراهيم حسين : مصدر سابق ، ص ص ٦٤ - ٦٦

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

يتعاطى معها ، لدرجة أصبح معها ليس له نظير، ومن بعض الأنواع الخزفية التي شاع

إنتاجها في مختلف البلاد الإسلامية ما يلي:-

١-الخزف ذو الزخارف البارزة^{١٠} :- وفي هذا النوع من الخزف ترسم العناصر الزخرفية بارزة

عن المستوى الأصلي لأرضية الآنية ، وتنقسم هذه المجموعة إلى أصناف فرعية:

أ- صنف تشكل فيه الزخارف بإضافة العناصر الزخرفية فوق سطح الأنية الخاضعة

لعملية التسوية الأولى ، وقد انتشر هذا النوع في العصر العباسي في العراق، وكانت مراكزه

الهامة في مدينتي "سوس" في إيران و"سامرا" في العراق، وقد تأثر الفنان العباسي بالتقاليد

الفنية التي كانت سائدة في هذه المنطقة قبل الإسلام، وبلغ ذروة الإتقان في القرن الثاني عشر

الميلادي.

ب- صنف يتبع نفس الأسلوب السابق ، ولكن زخارفه تأثرت بالتقاليد المحلية في سوريا

قبل العصر الإسلامي ، وينسب إلى سوريا في القرنين التاسع و العاشر الميلادي .

ج- صنف ينسب إلى "سلطان آباد" في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلادي

ومنها بعض القطع المؤرخة ، والعناصر الزخرفية والأسلوب المتبع هنا يشابه أسلوب التصوير

الإسلامي في العصر السلجوقي.

^{١٠} - تم اقتباس التصنيف من موسوعة حسن الباشا : موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية ، مصدر سابق و صالح الألفي : مصدر سابق .

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

د- مجموعة ذات زخارف بارزة ورسوم فوق الطلاء وزخارفه بارزة ومغطاة بألوان

مذهبة، وينسب هذا النوع إلى قاشان في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلادي.

٢- الخزف ذو الزخارف المحفورة :-

بدأ إنتاج هذا النوع من الخزف في العصر العباسي، ومن أنواعه الفرعية:

أ- نوع زخارفه تنفذ بواسطة أختام عليها نقوش تعتمد على العناصر الزخرفية الهندسية

أو النباتية، ثم تطبع هذه الأختام على الأنية وهي رطبة ، ولقد عثر على هذا النوع من الخزف

في "سامرا" و"الفسطاط".

ب- نوع أزيلت الأرضية حول العناصر الزخرفية بالحفر فبقيت العناصر الزخرفية

بارزة يغطيها الطلاء، أما الأرضيات المحفورة فتكشف عن سطح الأنية الأصلي، ويسمى هذا

النوع من الخزف أحيانا باسم الخزف الجبري وكانت مراكز إنتاجه في شمال إيران (القبائل

الجبرية) وتعود أغلب هذه القطع إلى ما بين القرنين العاشر و الثاني عشر الميلادي ،

وعناصره الزخرفية متنوعة بين نباتية وحيوانية وأدمية وغالبا مختلفة النسب التشريحية .

ت-نوع عثر عليه في مصر وينسب إلى العصر الفاطمي وأوائل الأيوبي أي في الفترة

ما بين القرنين الحادي عشر و الثالث عشر .

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

ث- مجموعة خزف ذات أرضية محفورة، وزخارفها غطت بطلاء زجاجي أسود،

ويمتاز هذا الخزف بالقوة التي تتضح في العناصر الزخرفية التي تتعدد عناصرها النباتية

والحيوانية والخرافية، ويغلب على تكوين العناصر الازدحام، وقد انتشر هذا النوع في إيران ما

بين القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الميلادي.

ج- مجموعة خزف محفورة لونت زخارفها وأرضياتها باللون الأزرق، وتنسب إلى

إيران، وشاع إنتاجها بين القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الميلادي.

ح- مجموعة الخزف المحفور والمخرم، ويغطي جسم الإناء كله في هذا النوع من

الخزف بما فيه من عناصر وأرضيات وثقوب بطلاء شفاف، وأغلب أواني هذه المجموعة ذات

طلاء أبيض، وفيها ما هو بالأزرق أو الأخضر وينسب إلى إيران وأنتج بين القرنين الحادي

عشر و الثالث عشر الميلادي.

خ- مجموعة أواني بيضاء دقيقة الجدران عملت تقليداً للخزف الصيني الذي ينسب

إلى عصر "تانج" وهو خزف رقيق حفرت فيه الأرضيات حول العناصر الزخرفية المختلفة التي

تركت بارزة، وقد انتشر هذا النوع بين القرنين العاشر و الثاني عشر الميلادي وبخاصة في

إيران.

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

٣- المجموعة الثالثة - الخزف المحزوز تحت الطلاء:-

انتشر هذا النوع في كثير من الأقاليم الإسلامية ومن أهم أنواعه:

أ- الخزف ذو الزخارف المحفورة والتي يغطيها الطلاء وعليها بقع وخطوط لونية، وهو من أقدم

الأنواع التي وصلت إلينا من العصر الإسلامي، وهو متأثر بالخزف الصيني من عصر

"تانج"، وكانت أهم مراكزه في إيران بين القرنين العاشر و الحادي عشر الميلادي.

ب- الخزف الذي تقوم الزخارف فيه على رسم الطير والحيوان بطريقة غاية في القوة والإتقان

وتستعمل ألوان متعددة في تلوين الإناء وينسب هذا النوع من الأواني إلى إيران في القرن الثاني

عشر.

ت- الخزف الذي عثر عليه في مصر في مدينة الفسطاط، زخارفه محزوزة وموضوعاته تشبه

كثيراً الخزف ذو البريق المعدني.

ث- الفخار المطلبي ذو الزخارف المحزوزة، ويعتمد هذا النوع من الخزف في زخارفه على

العناصر الخطية وعليه أحياناً "رنوك" مملوكية أو شعارات دول، وينسب إلى مصر في القرن

الرابع عشر.

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

٤- مجموعة البريق المعدني :-

وهو من أهم ما امتاز به الخزف الإسلامي، فالفنان المسلم هنا حرص على أن يبتكر نوعاً من الخزف الفاخر يصلح لأن يكون بديلاً لأواني الذهب والفضة أتباعاً للعقيدة الإسلامية فيما يحرم من استعمال لتلك الأواني في الحياة اليومية.

أما أول ظهور لهذا النوع من الخزف في العصر العباسي الذي ينسب إليه أقدم ما عرف منه، ومما يؤكد نسبه إلى هذا العصر تلك المجموعة الكبيرة من القطع الخزفية ذات البريق المعدني التي عثر عليها في حفريات مدينة "سامرا" وفي حفريات مدينة الفسطاط، ومن القطع التي عثر عليها أيضاً في إيران وفي بلاد الأندلس في القرن العاشر الميلادي قطع من الخزف من هذا النوع تشبه في أسلوبها الخزف العباسي في البقاع السابقة، وقد اختلف الباحثون على المكان الذي فيه بدأ إنتاج الخزف ذي البريق المعدني، والبعض يقول: إنه نشأ في مصر، ومرد هذا الاختلاف أن هذا النوع من الخزف انتشر في كافة البلاد الإسلامية في الفترة ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين، والمرجح أنه نشأ في العراق حيث كان مركز الإشعاع الحضاري في هذه الفترة في مقر الخلافة العباسية.

أما تقنية صناعته فهي بعد الحصول على جسم الفخار يتم تغطيته بطلاء زجاجي يحتوي على أكاسيد فلزية أو بطلاء يتم الرسم عليه بالأكسيد مباشرة ، ويتم اختزال هذا الأكسيد

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

بداخل الفرن عن طريق إلقاء مواد مساعدة على الإختزال إلى داخل الفرن ؛ فيتحد الكربون الناتج عن الاختزال مع الأكسجين الموجود في الطلاء ويترك طبقة معدنية رقيقة جداً ، ويصبح لون البريق المعدني المتخلف إما ذهبياً أو فضياً أو أحد درجات البني أو الأحمر حسب التركيب الكيميائي لنوع الطينة وتفاعلها مع الطلاء ، وهناك طريقة أخرى للحصول على البريق المعدني ؛ حيث حول الفنان المسلم بعض المعادن إلى مواد سائلة يرسم بها فوق الطلاء بعد التسوية الأولى وبعد التسوية الثانية نحصل على البريق المعدني في درجات حرارة أقل بدون التعرض للكربون. أما أنواع الزخارف المستعملة في منتجات الخزف ذات البريق المعدني، فهي تتنوع ما بين الهندسية و النباتية و الآدمية والحيوانية .

ومن الجدير بالذكر أن المتتبع للفن الاسلامي سيرى هذا الفن قائماً على بعض العوامل ، أهمها المفهوم الاسلامي للجمال ، وذلك اعتماداً على تعاريف ومفاهيم الفلاسفة المسلمين للجمال كالفارابي المتوفى عام ٩٥٠ م الذي عرّف الجمال بأنه تحقيق القيم الخيرة في الأشياء الجمالية ، من خلال بقائها وترتيبها . وابن سينا المتوفى عام ١٠٣٧م يتفق مع الفارابي في رؤية الجمال مضيئاً إلى اقترانه ويقصد الجمال بالسماء بمفهومها الديني . أما أبو حيان التوحيدي المتوفى عام ١٠٢٣ م فالجمال لديه نوعان ، الأول جمال موضوعي خالد لا يتغير ، والثاني جمال مادي متغير ، يتجسد في صفات خاصة قائمة في الأشياء ذاتها ، هي

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

الكمال والتناسب بالأجزاء و الهيئة والشكل واللون ، واعتقد أن هذا ينطبق تماماً على فن الزخرفة. ونستطيع أن نفهم من رؤية الفلاسفة للفن أن الجمال فيه يرتبط بمنفعته والقيم الجمالية التي ينقلها أو يعكسها من خلال تحويل الأشكال الجامدة إلى حركة غنية بالجمال و الإيقاع التأملي ، كما في المقرنصات والزخارف و الضوء وانعكاساته في القباب و الشمسيات والقمريات. أما العامل الثاني الذي يقوم عليه الفن الإسلامي ، هو القيم التشكيلية والزخرفة الإسلامية المتنوعة بين الخط العربي و الرسوم و المخطوطات .. الخ.و العامل الأخير هو الخامات المستخدمة و روحية الابتكار لدى الفنان المسلم ، ذلك الابتكار القائم على المزج بين التجريد و التجسيد في إبداع مواضيع الأرابيسك والمناظر الطبيعية و مختلف الزخارف على مختلف الخامات ، ليبقى دائماً الموضوع أهم من الخامة .

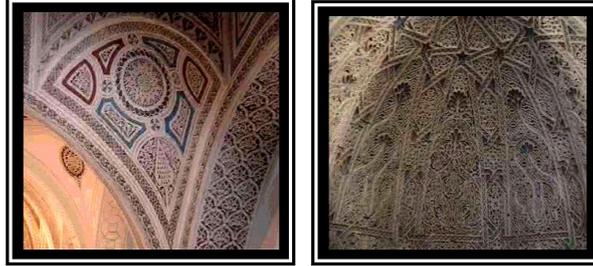
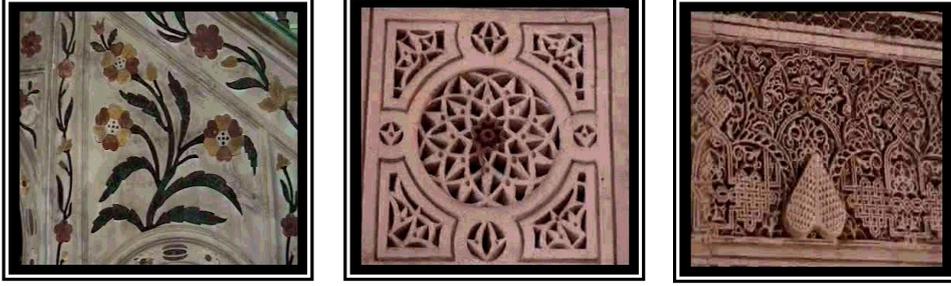
ومن الجدير بالذكر أن نؤكد ، أنه بناء على ما أكده علماء الفقه الاسلامي من أن المفاهيم الجمالية للفن الإسلامي شجعت على الاهتمام بالفن التجريدي و الأرابيسك والخط العربي ، أي أن الفنان المسلم عندما اهتم بالتجريد على حساب التجسيد لم يكن لضعف في إتقانه للفن الكلاسيكي ، إنما لرؤيته الجمالية والفلسفية المرتبطة بالدين الإسلامي ؛ التي عبر عنها بإبداع منسجم بين الخط الواضح واللون الصافي الثابت، لاعتماده على الألوان الأساسية في الغالب وخاصة المتباينة منها لتحقيق منظور زخرفي خاص به يعوض عن التجسيد أو

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

التجسيم، أما طريقة محاكاته للطبيعة لم تتوقف ، ولكن اهتمت بالعناصر النباتية. انظر الشكل

١٣ ، الذي يبين صور تعالج العمق من هذا المفهوم في الفن الإسلامي.



الشكل / ١٣ الفن الإسلامي

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

قاشاني جامعي الباشا وقورجي

لقد كانت تصدر مرسومات سلطانية أو ما يطلق عليها بالفرمانات السلطانية^{١١} في عهد الدولة العثمانية إلى مراكز صناعة الخزف ، وفيها شروط التفاصيل الدقيقة المتصلة بإعداد البلاطات الخزفية ؛ التصاميم الزخرفية ، وحتى الألوان ، ومن المؤكد أن هذه الفرمانات كانت تصل بصورة أو بأخرى إلى الأقاليم الإسلامية ؛ وبما أن ليبيا ولاية عثمانية ، فمن الطبيعي أن ما بها من بلاطات خزفية تنتمي إلى هذه الشروط الخاصة بالخزف في هذه الفترة ، حتى في عهد الدولة القرمانلية، ظلت هناك علاقات قائمة بين السلطان التركي و الوالي القرمانلي .

إضافة إلى أن ليبيا لم تكن الإقليم الذي يمتلك موروث وتقاليد خاصة بتقنيات الخزف^{١٢} قبل دخول الأتراك لتفرضها كبديل ، كمصر والعراق وسوريا نتيجة العلاقة مع إيران و السلاجقة ، مما أدى إلى ظهور الخزف في هذه الأقاليم قبل الهيمنة العثمانية عليها . لذا فليبيا أخذت هذا الغنى الزخرفي وطبقته على مبانيها ، غير غافلين عن التأثيرات لدول المغرب العربي و خاصة تونس التي مارست الخزف منذ القرن التاسع الميلادي ، وذلك إستناداً إلى

^{١١} - أنظر ربيع حامد خليفة : مصدر سابق ، ص ١٢ و سعاد ماهر : مصدر سابق ، ص ٣
^{١٢} - علي مسعود البلوشي : " تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي " ، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا: ج ٢ ، ط ١ ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - مصلحة الآثار ، طرابلس ، ١٩٨٩ ، ص - ص ١١ - ٦٣ .

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا د.صبا قيس الياسري

ما مؤرخ به البلاطات الموجودة في القصر الأغلبى مقر الدولة العباسية في تونس ، تلك البلاطات الزرقاء والبنية والخضراء.

أما في المغرب العربي ، في فاس فكانت صناعة الخزف أيضا موجودة، ولكن بتأثيرات أسبانية وإيطالية ، والتي هي الباروك و الركوكو ، و ظهرت حتى في الخزف العثماني و في كل فنون العالم .

وهذا هو الفن الاسلامي ذلك المزيج الخلاق بين التأثيرات المحلية و الموروث وانعكاس العقيدة الإسلامية في الحياة و الفن .

إذا من العهد العثماني ، أصبح هناك خزف في ليبيا ، تزدهر به المدينة القديمة بطرابلس ، بمباني عمرانية متعددة ، من أهمها جامعي الباشا وقورجي ،لما يحويه من برنامج زخرفي كامل ،يشمل أغلب أساليب وتقنيات الفن الاسلامي ، من زخارف جصية وخشبية نباتية وهندسية وكتابية ،واهم من ذلك كله والذي ظهر خلال هذه الفترة تحديدا ، وبعض اللوحات في الفترة العثمانية الأولى ولكن ليس بهذا الغنى ، إلا وهو فن البلاطات الخزفية القاشاني ،كبلاطات ولوحات خزفية خاصة بهذه الفترة العثمانية و القرمانلية ، تصنف حسب عناصرها الزخرفية ؛إلى لوحات تشمل عنصر الزهرية أو الفازة التي تخرج منها الأغصان الملتوية و الأوراق النباتية ، وكذلك لوحات تشمل عنصر النافورة والتي تتخللها الأغصان و الأوراق النباتية^{١٣} ،والنوعان الأنفان الذكر من اللوحات الخزفية ،نراهما بوضوح في جامع أحمد باشا

^{١٣} - علي البلوشى: تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي، مجلة كلية التربية، ع ١٦ ، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ص ١٢-٥٠، ص ٣٣.

فصل من كتاب الفن القاشاني في ليبيا

د.صبا قيس الياسري

القرمانلي بألوانها الأبيض و الأزرق والأصفر وقليل من الأخضر، والتي تتمتع بدقة في التنفيذ سنراها تختفي بمرور الوقت. إضافة إلى ذلك هناك اللوحات التي تحتوي على بناء بقبة مركزية من حولها ترفرف الأعلام وهذا البناء داخل فتحة عقد حذوة الفرس، وأسفل منه عقدان توأمان مفصصان ، في فتحتها عناصر نباتية تشبه تلك التي تزدهر بها الرسوم و الخزفيات التركية، وهذا النوع من اللوحات يتجسد في جامع مصطفى قورجي ، كما وهناك اللوحات التي تحتوي على الطيور المتقابلة وهذا العنصر، قديم ينتمي إلى بداية العصر الاسلامي ، ووجد تحديدا في الرسوم الإيرانية التي تشبه الرسوم الساسانية .^{١٤} كما هناك لوحات تحتوي على نصوص بالخط النسخي داخل فتحة عقد حذوة الفرس ، أما النص فهو:- ((بسم الله الرحمن الرحيم هذه الدار أضاعت بهجة وتجلت فرحا للناظرين كتب السعد على أبوابها ادخلوها بسلام أمنين من عمل أسطى يوسف الخميري (١٢٢٨)).

اما مصدر هذه اللوحات الخزفية، ينتمي بصورة أو بأخرى إلى الخزف التركي وتحديدا خزف تكفور سراي و كوتاهيه ، وأضيف إلى ذلك خزف جناق قلعة، الذي يتسم بضربات الفرشاة بشكل حر وتحديد الخطوط الخارجية باللون الأسود أو البني أو البنفسجي للعناصر الزخرفية ، ثم تعبئة التحديد بالألوان الأخرى كالبرتقالي و البنفسجي الضارب إلى السمرة .

^{١٤} - زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ، مصدر سابق ، ص ٢٧٧